



الحمد لله والصلوة والسلام على خير خلق الله رسوله محمد سيد الأولين والآخرين إلى يوم الدين، أما بعد:

إن علاقة الدعاة بالأسباب تكاملية، ليست علاقة تناقض أو تناقض أو تعارض، على عكس ما يفعله كثير من الناس فأول ما يقومون به عند الملمات الفزع إلى الأسباب ويداومون على طرق بابها أبداً ليس بالقصير، ثم عند عدم تحقق المراد يتذمرون الأسباب ويلجؤون إلى الدعاة، والأسباب هي ما يتوصّل به أو يتوصّل لتحقيق المراد فيتعاملون مع كليهما بالتوازي أو التنازع وليس بالتوازي!

ليس بين الدعاة والأسباب ترتيب وإنما يلجأ المسلم إلى كليهما معاً، فمن اعتمد الأسباب المادية ولم يلجأ إلى دعاء الله لتحقيق مقصوده فقد ترك شطراً كبيراً من الأسباب، كما أن من اعتمد الدعاة وأهمل الأسباب المادية فقد خالف المحسوس الذي لا يدفع ولا ينكر ولو تدبرنا سنة الرسول العظيم لوجدنا أنها زاوجت بين الاثنين الدعاة والأسباب المادية، فالدعاء قسم من الأسباب، ولم تقتصر سنته على أحدهما وتركت الآخر، فالرسول صلى الله عليه وسلم يأخذ بالسبب الذي جعل الله مثله موصلاً لتحقيق المقصود، وفي الوقت نفسه يلجأ إلى دعاء الله؛ فالله رب الكون ورب الأسباب.

وفي ليلة بدر، ليلة الفرقان التي نصر الله في صبيحتها جيش الشرك، أخذ الرسول بالأسباب فأعد العدة المادية كأحسن ما يكون الإعداد ثم لجأ إلى الدعاة، فقام ليله كله يدعوا ربه ويناشده حتى أشفق عليه أبو بكر الصديق وهو يقول له كفال مناشتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك، فلم يعول على الأسباب والإعداد وحدهما ولم يكتف بالدعاء وحده بل جمع بين الأمرين. وعندما كان يدخل الحرب فمع إيمانه وتسليميه بما قدره الله كان يلبس المغفر ويظاهر بين درعيه ويأخذ حذره هو والمؤمنون كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَإِنْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انْفِرُوا جَمِيعاً} [النساء: ١٧]

فلا تعارض ولا تنازع بين الأخذ بالأسباب والدعاة. ش

المصادر: